

بسم الله الرحمن الرحيم
آدم أبو البشر عليه السلام

تأليف

المفتي الدكتور عبدالوهاب زاهد الندوي
داعية متفرغ الى الإسلام في كوريا الجنوبية
عميد كلية الدراسات الإسلامية العليا سابقا

طبع في كوريا الجنوبية عام 1997

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

نشهد شهادة امتلأت بها حواسنا, وادراكاتنا العقلية بأن لا اله الا الله وحده
لاشريك له في ملكه. ..ونشهد أن محمدا بن عبد الله عبده وخاتم رسله وأنبيائه
ونشهد أن آدم عليه السلام أبو البشر وأول نبي لله, ومن نسله البشرية, منهم أنبياء
الله ورسله جميعا, آمنا بكل ما نقلوه الينا عن الله وصدقناهم دون تردد أو أشك, ولا
نفرق بين أحد منهم ونحن لله مسلمون

....ونشهد أن محمدا خاتم رسله وأنبيائه عبده ورسوله, جاء بما جاء به جميع
الأنبياء والمرسلون من ربهم... وآمنا بالملائكة كما خلقهم الله من نور, وآمنا باليوم
الآخر فيه ترد الحقوق لأهلها بعدل وإحسان وآمنا بالقضاء والقدر خيره وشره
من الله..

وآمنا بالموت وما بعده, ونعيم القبر وعذابه وآمنا بيوم البعث والنشور, وجمع
الخلائق ليوم الحساب والجزاء وآمنا بالجنة وما فيها من نعيم للمؤمنين
وآمنا بالنار وما فيها من عذاب وشقاء للكافرين والظالمين .. اللهم أحينا على
الإسلام, وأمتنا على الإيمان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم
 آدم أبو الشر عليه السلام
 المقدمة

الحمد لله رب العالمين , ونشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الخاتم , ورضي الله عن أهل بيته الطاهرين , وعن أصحابه الغر المحجلين , ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين : أما بعد :

فان دراسة سيرة آدم عليه السلام من أهم ما يجب على الإنسان أن يدرسه , والجهل في سيرته جهل في غاية وجودنا في هذه الحياة ..

لم تكن سيرة آدم عليه السلام سيرة فرد من أفراد البشر , ولا بطل من أبطالها , ولا قائد من قادتها البارزين , إنها قصة أصل البشرية , وسبب وجودها في هذه الحياة الدنيوية , وخلودها في الحياة الأخرى ,

إنه آدم أول مخلوق من البشر , وهو أبوهم وأصلهم جميعا , وحياته دقاها وجلها مرتبطة بمصير ذريته البشر ارتباطاً وثيقاً , فإذا خاطبه الله بخطاب كان الخطاب لنا , وإذا كلفه بشيء التزمنا به وهو تكليف لنا , فكلما عرفنا شيئا عنه عرفنا أنفسنا أكثر , وكلما عرفنا الأخطار التي أحاطت به عرفنا طريقة الحذر من الوقوع فيها , لهذه الأهمية فإني حاولت تقديم نبذة مختصرة لأهم النقاط من حياته عليه السلام لنستفيد منها في نهج حياتنا الدنيوية وهي :

- 1 - ذكر الله لآدم في القرآن الكريم - 2 خلق الله لآدم 3 - منزلة آدم
 4 - الحكمة من خلق الله للإنسان 5 - الفطرة التي فطر الله الإنسان

عليها

- 6 - إبليس ومعصيته لله , وعداوته لآدم 7 - خطيئة آدم 8 - الخطيئة

والإنسانية

- 9 - حواء في نظر دين الله الإسلام 10 - معجزة الله في الخلق

هذه النقاط التي اخترتها للبحث وتقديمها لمن يرغب في معرفة أصله وصلته .. وفي أنفسكم أفلا تبصرون , واني تجنبت بيان بعض النقاط غير المهمة , والتي ليس لها صلة حتمية بمصير حياتنا , ولم يرد فيها نص صريح الثبوت , كاسم الشجرة , ونوع الثمرة التي أكل منها , وتاريخ آدم والزمن الذي خلق الله فيه آدم . وأهم ما يجب علينا معرفته فقد فصلته مع الأدلة على ثبوته بنصوص صحيحة واضحة محكمة لا تحتمل الشك في صدقها وصحة سندها , وجعلت كلام الله المجيد أصل المراجع

واني مسلم آمنت وصدقت جميع ماجاء عن الله الواحد عن علم ودراسة , وعقيدة
واطمئنان , وانطلاقاً من منطلق إيماني بالله وكتبه ورسله ., أكتب عن حقيقة
البشرية وصلتها بالإيمان بالله , وانحراف بعضها فخرت الدنيا والآخرة , الى
من جهل الحقيقة , وغاب عنه , النهج السليم الذي رسمه خالقهم لطريق حياتهم
سائلاً المولى سبحانه أن يجعله في صحيفة عملي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم, وأن يغفر لي وللمسلمين ولسائر من علمني , والى والدي
والى شيخي أبي الحسن الندوي , كما أسأله سبحانه أن يحقق الهدف والغاية التي
ألف من أجلها هذا الكتيب المتواضع وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المفتي الدكتور عبدالوهاب زاهد
داعية متفرغ الى الاسلام

2004،26 April

2004،26 April

- آدم عليه السلام

هو أول البشر , وأبوهم الأول وأول الأنبياء ذكره الله في القرآن الكريم في عدد
من السور وقد بين في قصته نقاطاً رئيسية وهي:

- 1 - آدم كما ذكره الله في القرآن الكريم - 2 - خلق الله لآدم 3 - منزلة آدم
- 4 - الحكمة من خلق الله للإنسان 5 - الفطرة التي فطر الله للإنسان
- عليها
- 6 - إبليس ومعصيته لله , وعداوته لآدم 7 - خطيئة آدم 8 - الخطيئة
- والإنسانية

9 - حواء في نظر دين الله الإسلام 10 - معجزة الله في الخلق

1 - آدم كما ذكره الله في القرآن الكريم

قال الله تعالى يخبر الملائكة بأنه خالق أصل الإنسان في سورة ص 71 (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين) فخلق آدم عليه السلام وجعل نسله من جنس المادة التي خلقه منها فقال في سورة الصافات 11 (إنا خلقناهم من طين لازب) وقال في سورة المؤمنون 12 (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ثم أحسن تصويره ونفخ فيه من روحه , وجعل له السمع والبصر والعقل فقال في سورة السجدة 6 (الذي أحسن كل شيء خلقه , وبدأ خلق الإنسان من طين , ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين , ثم سواه ونفخ فيه من روحه , وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) ثم خلق من ضلعه حواء زوجه , وروى البخاري برقم 3084 : عن عبد الرحمن رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المرأة خلقت من ضلع) ورزقه منها الذرية والنسل الإنساني , فقال تعالى في سورة النساء 1 (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً ونساء كثيراً) . ثم أعلا منزلته وجعله سيداً وقائداً لجميع المخلوقات , ففي سورة البقرة 30 (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ثم علمه من علمه سبحانه بقدر حاجته الإنسانية ليستخدمه في مصلحته الخيرة , ويقود باقي المخلوقات بالعلم والحكمة وجعل محله العقل فقال تعالى (علم آدم الأسماء كلها)

ثم أمر الملائكة بالسجود احتراماً له ولمكانته (فقال في سورة البقرة 33) (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم , فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ثم منح الله آدم الجنة مسكناً له ولزوجته حواء , فقال في سورة البقرة 35 (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا رعداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) نهاه الله عن الأكل من الشجرة التي أشار له إليها ولم يذكر اسمها أو نوعها , لأن الغاية من هذا النهي هو بيان لجنس الإنسان , أن الطاعة والتقيّد بأوامر الله , سلامة ونجاة وكسب لمرضاته سبحانه , والمخالفة والمعصية خسارة وطرد من رحمته سبحانه , إلا من تاب وأصلح عمله , فإن الله يقبل منه توبته , ويغفر له ذنبه , كمن لا ذنب له , وهذا شأن آدم عليه السلام , فإنه بعد أن أكل من الشجرة , أدرك أنه أخطأ مع ربه وخالقه , توجه إليه بالتوبة والاستغفار , وقبل الله منه توبته , فقال تعالى في سورة طه 115 (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) إشعاراً منه سبحانه أن خطيئة آدم كانت عن نسيان , ولم تكن عن قصد وعمد , ولهذا قال أيضاً في سورة طه 120 (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وفتح باب التوبة للمخطئين من ذرية آدم عليه السلام , إذا استغفروا الله وأنابوا إليه , فقال سبحانه في سورة الفرقان 71 (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً , فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً , ومن تاب وآمن وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) (72) واختار الله آدم واصطفاه نبياً , فقال تعالى في سورة آل عمران 33 (إن الله اصطفى آدم) وكرم ذريته ورفع مقامهم بين

مخلوقاته , فقال تعالى في سورة الإسراء 70 (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر , ورزقناهم من الطيبات , وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ولما لآدم وذريته من مكانة كريمة عند الله , حذره وذريته من الشيطان وغوايته , كما سوف نقرأ في مكانه بإذن الله تعالى ..

2 - خلق الله لآدم

خلق الله آدم من طين لازب (لازم , وقيل لازق ثابت) , وهو التراب الممزوج بالماء , فقال سبحانه في سورة ص / 71 / إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين , ثم حدد نوع هذا الطين في سورة الصافات / 11 / (إنّنا خلقناهم من طين لازب) - طين لازق ثابت - ,

إنها قدرة الله القادر وقال في سورة المؤمنون / 12 / (هو الذي خلق الإنسان من سلالة من طين) خلقه من أجزاء الأرض وسماه آدم , وأخبر ملائكته بالكيفية التي تليق به سبحانه أن يفهموا منه خطابه وقوله , وقد فهموا خطابه بما اقتضت مشيئته لفهمهم , , وقوله إني خالق بشراً (من البشرية - وهي ظاهر جلد الإنسان - والبشر - هم الإنسان) وآدم من الأئمة وهي باطن الجلد الذي يلي اللحم , والآدم من الناس الأسمر.

خلق الله آدم من مادة جامدة لاحت فيها ولاحركة , , مثل أمه الأرض , ثم سواه على الهيئة الإنسانية , ونفخ فيه من روحه , وأودع فيه سره العظيم , وجعل فيه مزيجاً من طبائع وصفات تميزه عن غيره من المخلوقات , روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً , ثم قال : إذهب فسلم على أولئك من الملائكة , فاستمع ما يحيونك , تحيتك وتحية ذريتك , فقال : السلام عليكم , فقالوا : السلام عليك ورحمة الله , فزادوا ورحمة الله (رقم الحديث 3079)

فقد ركب الله نفس آدم الإنسانية من الحس والشعور والوجدان والضمير , واللذة والشهوة , والحب والكرهية , وهي صفات النفس , التي بها يسعد الجسد المادي ويتنعم , ويتألم ويشقى.. وجعل الله فيه الروح لتأخذ بالجسد المادي إلى السمو والإرتقاء العلوي , إلى عالم روحاني حسي , فمن صفاتها السمو عن المادة , والتخلق بالأخلاق والفضيلة , والطاعة المطلقة للخالق سبحانه , وخصه بالعقل ليأخذ به إلى الاعتدال في كل شيء , وزينه بالأناة والصبر والإدراكات الحسية , ثم وهبه العلم فقال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) سورة البقرة. 31) وجعل في العقل حاسة الحفظ والذاكرة , وحاسة النسيان لتكون عوناً له على تحمل المصاعب والعقبات التي تعترض مسار حياته , وبالعقل يملك القدرة على الموازنة بين متطلبات الروح ومتطلبات النفس , ومنحه القدرة على الاختيار بين الخير والشر دون إلزام ولا إجبار , وبحسب إختياره وفعله ينال الأجر والثواب , أو الجزاء والعقاب

, فإن كل ما يفعله الإنسان إنما يفعله بمحض إرادته واختياره دون إلزام ولا إجبار وهو مسؤول عنه , وخصه بمزيد من العناية , فغلب فيه عنصر الخير , و بذلك خصه من بين مخلوقاته ليكون أقربهم وأحبهم إليه , وحف حياته بالعقبات , وجعله على مفترق طريقين الخير والشر , بقوله تعالى في سورة البلد 10 (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفيتين , وهديناه النجدين) , ثم أوضح سبحانه أكثر فقال في سورة الإنسان 3 (إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)

خص الله الإنسان بميزات تجعله متفرداً بها عن غيره من المخلوقات , ثم قربته الله منه , واتخذته خليفة له على جميع الخلاق , يتصرف بها , ويسخرها لخدمته ومصالحته كيف يشاء .

وحتى نفهم عظمة تركيب الله لآدم , لا بد من معرفة العوالم التي جعله مزيجاً من جميع خواصها , والتي تحيط به في مسار حياته وهي
= 1 : عالم الملائكة :

هم عالم نوراني حسي غير مادي , لانراهم ويتمثلون بأمر الله بالهيئة التي يريدهم الله بها , وقد خلقهم الله من نور , وهم خير كلهم , و لا يصدر منهم شر مطلقاً , ولا لهم قدرة على فعل الشر , ويفعلون ما يؤمرون به , ولا يعصون الله ما يأمرهم , وعددهم كثير , لا يحصيهم إلا الله سبحانه ...
.. 2 - عالم الجن :

وهو عالم خلقهم الله من مارج من نار , وجعل فيهم إرادة وشعوراً , و قابلية الخير والشر , وهم عالم حسي غير مادي , لانراهم على هيئتهم التي خلقهم بها , ولهم قدره على التمثل بأشكال مادية متعددة , يمكن لنا رؤيتهم بها , ومطالبون بالتكاليف الشرعية , قال أستاذي العلامة عبدالله سراج الدين (الحلبي) في كتابه الإيمان بالملائكة ص 244 (ذهب جماهير أهل العلم إلى أن الجن مكلفون بالشرائع الإلهية , وأنهم تتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية , وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك كثيرة شهيرة , قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيمة , في سورة الأنعام 130 (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا , وغرتهم الحياة الدنيا , وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (30) فدل ذلك على تكليفهم كما كلفت الإنس , وتوجه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس , ولذلك اعترفوا بأنهم كفرون , وشهدوا على أنفسهم بالكفر قال تعالى : في سورة الأحقاف 18 - 19 (.. أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس , إنهم كانوا خاسرين , (18) ولكل درجات مما عملوا , وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون (19)

.. وأما إبليس فهو منهم , وقال تعالى في سورة الكهف 50 (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) غلب على إبليس حب الاستعلاء والتكبر على أمر الله

سبحانه , فكان أول من عصى الله , فلم يسجد لادم حين أمره ربه , فطرده من رحمته , وله أعوان منهم , أطلق عليهم شياطين الجن , وهذا النوع شر كلهم , لا يصدر منهم خير قط مثل رئيسهم ابليس , وقد أتبعهم الله به طردا من رحمته لكونهم اتبعوا سبيل ابليس وطريقته في العصيان والغواية والعداوة للإنسان....

3 - عالم الجماد :

هو عالم مادي محض , وهو كل ما يشغل حيزاً , وله حجم وشكل ووزن , كالتراب والحجر , وكل ما ليس له حس ولا حركة ولا حياة ولا روح ..

4 - ... عالم الحيوان

فقد خلقه الله من مادة , فيه الحياة والحس والشعور , وله إرادة وتفكير محدود ضمن حاجته من خوف ورجاء وجوع وشبع .. ويختلف عن الإنسان في الإدراكات العقلية والروحية

5 - عالم النبات :

هو مادة محضة ليس فيها حس ولا شعور , وجعل الله فيها الحياة , وبها ينمو -

أما الحس والشعور في النبات , فقد جهله الإنسان , ويجهل عنه الكثير , وقد ذكر الله : أن كل شيء يسبح الله ولكن الإنسان لا يدرك تسبيحه , فالجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق في هذا الكون له وظيفته في هذه الحياة , وله خواصه ومهامه , ولا يعلم ذلك إلا الله الخالق سبحانه .

وأما الإنسان .

فقد جعل الله فيه مزيجا من خواص جميع هذه المخلوقات , ففيه الروح والرقي والسمو , وصفات الخير وهي من خواص الملائكة , وفيه القدرة على فعل الشر , و الشر من أهم خواص الشيطان , وفيه الحياة والحس والشعور , وهي من الحيوان , وفيه من المادة الحيز والمكان والثقل , وفيه النمو من خواص النبات ... فقد ركب الله كينونة الإنسان من خواص جميع هذه الأجناس , وميزه عنها بخواص بما يتناسب ومهمته التي خلقه الله من أجلها , وألقاها على عاتقه وكلفه بحملها بقوله تعالى: في سورة الأحزاب 72 (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً (والأمانة هي عبادة الله وحده , والإنقياد والطاعة المطلقة لأوامره وشرائعه..

5 - منزلة آدم ومكانته

يظهر من قوله تعالى في سورة البقرة 31 (إني جاعل في الأرض خليفة) أن الله خلق آدم عليه السلام ليسكنه الأرض , ويعيش فيها ويموت فيها , ويعمرها بذريته نسلاً وحرثاً , ويسود فيها على جميع المخلوقات , بما خصه من خواص كريمة , وقد نفخ فيه من روحه , قال تعالى في سورة السجدة (9) ثم سواه ونفخ فيه (من روحه) بهذه الروح تحول هذا الجماد وتميز , وبما أودع الله فيه من سر الحياة الكاملة , الناطقة بالحس والحركة والشعور والتفكير , وميزته هذه الروح بحياة عاقلة , ذات خاصية متفرده عن غيره من المخلوقات , بخاصية إنسانية بحتة , لا يشاركه فيها أحد من سائر الأحياء , فهي حافلة بالعقل والتفكير والعلم , والقدرة على حمل جزء من علم الله في هذا الكون , وقيادة المخلوقات الحية والجمادة , فقال تعالى في سورة البقرة 30 (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) فقالت الملائكة , أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك , أجابهم سبحانه (إني أعلم ما لا تعلمون) فإني أعلم السر الذي أودعته فيه , وأنتم لا تعلمون ما تركيبه وأهليته , فقد أودعت فيه من روحي وسر الحياة و قدرة تلقي العلم والتحكم فيه , ومنحته منصب الخلافة في الأرض على جميع المخلوقات , والخلافة هنا غير محصورة على نوع , أو على شخص آدم بعينه , ولا على قوم دون غيرهم , ولا عرق بل خلافة عامة لجنس الإنسان من غير اختصاص , فقال تعالى في سورة النمل 62 (ويجعلكم خلفاء الأرض) وخصه الله بميزات عقلية وروحية ونفسية , تؤهله لحمل المهام الملقة على عاتقه , ثم عرض الله نموذجاً من قدرة إدراكات آدم العقلية , ليثبت لهم طرفاً من سره فيه , علمه , وهيبه , وأخبرنا سبحانه بقوله في سورة البقرة () وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة , فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم , قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم , فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض , وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون (32) إنها إرادة الله وسره العظيم الذي أودعه في آدم وأهله لأن يكون في منزلة ومكانة مرموقة , و العلم من أهم الخواص التي تحلى بها جنس الإنسان , دون غيره من المخلوقات , فقد علم الله آدم علم الأشياء , والمخلوقات الموجودة في هذا العالم المادي , كما تظهر آثاره تدريجياً , ونرى كل يوم والإنسان في علم جديد , واكتشاف جديد , وهذا كله من إيداع الله في أصل الإنسان من علم , وزيّن الله الإنسان بالعقل ليكون

الحكم والقائد الناصح في مسار الحياة , وحسن التصرف في استخدام العلم لصالح بني جنسه , وللعلم حدين :

- 1 - يمكن استخدامه في خير البشرية , وسعادتها في حياتها
- 2 - ويمكن استخدامه في دمار البشرية وهلاكها .

والعقل الناصح هو الحكم بين هذين الحدين , يوجه الإنسان للخير, وما هو فيه مصلحة العامة من الرقي والفلاح والسعادة , فإذا غلبت على الإنسان صفة الإستعلاء والإستكبار في الأرض , خرج عن الغاية التي خلقه الله من أجلها , والتحق بقريته إبليس , وبلغ منزلته في الجحود , والعامة تصف من ظلم وقسى قلبه في التعامل مع غيره , بالوحشية والخروج عن الإنسانية , ومن غلبت فيه الحكمة والتعقل , واستغل العلم في مصلحة الإنسانية , ورقيا ورفاهيتها , متحلياً بطاعة الله وعبادته , فإنه تحقق في المعنى الحقيقي للإنسانية , وتحققت فيه صفة القائد لجميع المخلوقات , وهذا النوع الذي عبر الله عن مكانته التي منحها إياها , بقوله تعالى : (إني جاعلٌ في الأرض خليفة) مطبقاً لشرعية الله , وامتقيداً بأوامره وتعاليمه مع بني جنسه , وسخر لخدمته جميع المخلوقات , وجعلها تحت تصرفه ...

, وقد أمر الملائكة بالسجود له , اظهراً لمنزلة آدم , ومن بعده ذريته , و إحتراماً وتقديراً لمنزلته ومكانته , فقال تعالى في سورة البقرة 31 (وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وقال في آية أخرى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) كما أشرنا آنفاً أن السيادة لجنس الإنسان عامة , وليست لنوع أو قوم دون آخرين , والسيادة مرتبطة بشرط واحد , وهو صدق الإنقياد لله متحلياً بالتقوى والعبادة الخالصة لله وحده سبحانه , فمن تحقق فيه هذا الشرط حق له أن يتوجَّج بهذا المنصب العظيم بين المخلوقات عامة ,

4 - الحكمة من خلق الله للإنسان

تتمثل في قول الله تعالى , في سورة الذاريات 57 (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون , ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون , إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

العبادة في معناها الحقيقي هي الإنقياد المطلق من الإنسان لربه وخالقه سبحانه , وبذلك يبلغ مرتبة الكمال الإنساني , وينتهي بسلوكه مسلك الكمال إلى جوهر علوي شريف كريم , يفوق بكمال وجوده كل مخلوق سواه , ويتقرب إلى ربه تقرباً كمالياً لايناله شيء غيره , فالحكمة من وجود المخلوق الإنساني , لا تريد بفعلها إلا الإنسان الكامل السائر إلى أوج السعادة في دنياه و آخرته , والإنسان وجد بتركيب مادي , وهذا التركيب لا يوجد إلا إذا وقع تحت هذا النظام المادي , المنبسط على هذه الأجزاء , الموجودة في العالم المرتبطة بعضها ببعض , المتفاعلة

فيما بينها جميعا بتأثيراتها وتأثراتها المختلفة , وكل شيء مادي في هذا الكون , يتأثر ببعضه , من قوة وضعف , وتصل هذه التأثيرات الى درجة الاعتقاد بصدقها وصلاحيتها , الإنسان أحد هذه الأنواع المادية التي تعيش وسط عالم مادي , وفي الإنسان حاسة التلقي و الأخذ مما حوله من مجتمعات وبيئات , فيتأثر بما حوله وبما لُقِنَ وُعِدِي وَعُلِّمَ , فينشأ متأثراً , ويلزم من ذلك انحراف بعض أفراده دون التحقق بكمال الفطرة الإيمانية .

. وهذا الانحراف , إنما هو عارض وليس أصلا في نشأت الإنسان وخلقها , روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ , فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ) كتاب التفسير رقم 4402

والفطرة التي جعلها الله في الإنسان منذ مولده , تعينه على تحمل أعباء المهمة , وتحقيق الغاية التي خلق من أجلها , هي العبادة لله وحده , والكمال في الطاعة , والانقياد لله سبحانه , و الانحراف عن تلك الفطرة , يسبب سقوط بعض أفراد الإنسان بالكفر أو الشرك , ودخولهم النار ...

وسقوط بعض الأفراد في الكفر ودخولهم النار , فإتما هو عارض طارئ عليه بعد مولده وليس بالقصد . وهذا يعني أن الله لم يخلقه ليكون كافراً , ولا ليعذب بالنار.....

و علمه سبحانه بأن كثيرين من أفراد الإنسان يكونون كفاراً ومصيرهم النار , لا يوجب أن يختل مراده من خلقه النوع الإنساني , ولا أنه يوجب أن يكون خلقه الإنسان الذي سيكون كافراً , علة تامة لكفره أو لصيرورته إلى النار , وأما تعلق القضاء الإلهي بكفر الإنسان , فإتما تعلق به من طريق الاختيار , لا بأن يبطل اختياره وإرادته , فقد اختار الإنسان الكفر باختياره ومحض إرادته , ولم يكن ملزماً به , كما لو وقع حجر على رأسه وهو في طريق دون علم ولا إرادة منه , فهذا لا خيار له فيه ولا إرادة منه .

وأما الكفر فقد كان باختيار الإنسان , وهو شذوذ عن الفطرة الصحيحة السليمة التي فطر الله الإنسان عليها , كما أن وجود الخير مضاداً للشر , و الشر مضاداً للخير أمر لازم بالضرورة , فلو انعدم أحدهما اختفى الآخر , فكيف يعرف الخير دون فعل الشر ووجوده.....

وكذا وجود المعصية والمخالفة ميزة تميز الطاعة والانقياد . ولو فرضنا أن الخير سائد في العالم كله , ولم يوجد الشر , فكيف نعرف الخير إذا لم نسمع أو نرى الشر , فتعرف الأشياء بأضادها ..

وأما دخول الكافر الى النار فإن ذلك بالعدل , فمن العدل أن يحاسب الإنسان على فعله بإرادته واختياره , وإذا عمل رجل في معمل طيلة يوم كامل , فمن الحق أن ينال العامل أجره لقاء عمله , كما لو خرب العامل في عمله , وأنكر لمالك المعمل ملكيته ,

فطرده المالك من ملكه لإنكاره ملكيته , وعاقبه للضرر الذي فعله , لم يكن ظالما ولا جائرا , ومن سار على الدرب وصل , ومن أطاع واتقى نال الأجر والمثوبة , ومن كفر نال العقاب نتيجة جحوده وكفرانه نعمة المنعم...
والله سبحانه قَدَّرَ يَعْلَمُهُ ما سيكون منذ بداية الخليقة وهو أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير , فكل شيء عنده سبحانه بحسبان , ولا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ , لكونه المالك بقدرته وحده دون شريكٍ ولا مُعِينٍ فَعَلَ وَخَلَقَ , فهو الفاعلُ والصانعُ والخالقُ الوحيد , وَغَيْرُهُ مَفْعُولٌ ومُصْنَعٌ ومَخْلُوقٌ , و هل يُسألُ المفعولُ للفاعلِ لماذا فَعَلْتَنِي , أو المصنوعُ لماذا صَنَعْتَنِي , أو المخلوقُ لماذا خَلَقْتَنِي ..؟ .. فإذا سألَ فَيُعْتَبَرُ سؤَالُهُ فضوليا لا محل له .. إنما فعل الفاعل وصنع الصانع وخلق الخالق لغاية أرادها هو دون استشارة المصنوع أو المخلوق , والخالق هو المالك لما صنع وخلق . والله البر الرحيم سبحانه شاء بإرادته وحكمته أن يخبرنا عن سبب خلقه لنا بقوله , ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .) فالعاقل يكتفي مؤمنا مصدقا بهذا الخبر دون تردد ولا شك
....

5 - الفطرة التي فطر الله الناس عليها

1 - إن الفطرة بمعناها اللغوي هو الإنشقاق , وتأتي بمعنى الإبتداء : وفطرَ : أي شق : قال الله تعالى في سورة الإنفطار 1 (إذا السماء انفطرت) أي انشقت , وفي سورة الانشقاق 1 (إذا السماء انشقت)
وأما معنى الإبتداء : فقال تعالى في سورة يوسف 101 (فاطر السموات والأرض) وقال ابن عباس رضي الله عنه : كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر . فقال أحدهما : أنا فطرتها . أي ابتدأتها .. مختار الصحاح 507 . يعني : ابتداء خلقها وإبداعها من العدم , وإيجادها ابتدائيا من غير مثال سابق , فيقول الله تعالى في سورة الروم 27 (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)
وهذا يعني إنشاء الخلق لكل شيء , هو الإبتداء بخلقها دون مثال له سابق يطابقه عليه أو يصور مثله , فالله منشئُ الشيء من دون تصوير من مثيل , بل يبدعه إبداعا من إرادته , فكل شيء مفطور بإبداع الله وخلقها كاملا له , قال تعالى (بديع السموات والأرض)
فالإبداع : هو العناية المتعلقة بنفي الشبيه والمثال السابق في الإيجاد والخلق و الإختراع , وذلك صفة الله تعالى وحده دون غيره .

وأما القَطْر : فهو البدء بهذا الإبداع دون مثال يقاربه , وقد أبدع الله خلق السماء وما فيها من سدم ومجرات وأفلاك وكواكب , والأرض وما فيها من عجائب ومعجزات من بحار وأنهار وجبال وإنسان وحيوان ونبات , وهذه الأرض تسبح في السماء وهي أصغر من ذرة , وفطر الله السماء بأبداع نظام , وأكمل هيئة , سبحانه وحده لا شريك له في خلقه وإبداعه سبحانه ...

2 - وأما مدلولها الشرعي : الفطرة : أي ابتداء الإنسان حياته منذ اللحظة الأولى على ما فطره الله من الإيمان به وحده قال الله تعالى : في سورة الروم 30 (فأقم وجهك للدين حنيفاً , فطرت الله التي فطر الناس عليها , لا تبديل لخلق الله , ذلك الدين القيم , ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .. خلق الله الإنسان , منذ اللحظة الأولى مؤمناً بالله الواحد , نقياً من كل معصية وخطيئة , طاهراً صافياً ؛ من كل شر وسوء , وقد ورد عن رسول الله الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه قال :
(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ , فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ) رقم 6110..

1 - الميثاق بين الله والإنسان

ترتبط هذه الفطرة بالميثاق والعهد الذي أخذه الله من الإنسان , قبل أن يهبط آدم إلى الأرض , وذلك أن الله أخرج من صلب آدم ذريته , وجمعهم جميعاً , وأخذ عليهم العهد , وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم ويسمى هذا الجمع (عالم الذر) كما أخبرنا الله في سورة الأعراف 173 : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ , وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ , قَالُوا : بلى شهدنا , أن تقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ , أَوْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ , أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ..)

الأخذ هو : انفصال المأخوذ من المأخوذ منه , وقد أخذ الله من بني آدم , أولاد أولاد آدم وذريتهم , من ظهورهم أي أصلابهم , إبناً من أب , إلى يوم القيمة , فكان جمع جميع البشرية , كل فرد من أفرادها منفصل عن الآخر , له نفس مستقلة , لها ما لها من الحقوق , وعليها ما عليها من الواجبات , له وإحساسه وشعوره , وفيه كامل الإدراكات العقلية , لتكون مشاهدته ثم شهادته كاملة الشروط . :
وأشهدهم على أنفسهم , فقد أشهد كل فرد على الآخر , وكانت تلك المشاهدة معاينة حقيقية , أن الله ربهم وحده , وقد نطقوا بما شاهدوه حقيقة , بأن الله واحد بألوهيته وبربوبيته دون غيره سبحانه , فهي مشاهدة رؤية , حتى تتم الشهادة يوم

القيامة على بعضهم بعضاً , على أساس الحضور والرؤية , ويكون الإقرار بالشهادة بالحقيقة التي شاهدها يوم العهد والميثاق .
 وأما قول الله لهم يوم القيامة (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين , أو تقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم , أفثهلنا بما فعل المبطلون .)

فهو تحذير من الله لبني آدم وذريتهم من بعدهم , من أن يدعوا عدم علمهم بذلك العهد والميثاق , وأن السبب هم الآباء , وكانوا أبناء ضعافاً لا طاقة لهم ولا علم , وكانوا عن هذا العهد غافلون , وقد تلقوا الشرك والكفر من أب عن أب , وكانوا تبعاً في عقيدتهم , وإقامة الحجة على الآباء والأبناء معا بأنه أشهدهم جميعاً , وأخذ منهم الميثاق على إيمانهم بوحدانيته بالألوهية والربوبية , نطقاً بلسانهم , فلا حجة لأحد في إنكاره العهد والميثاق , وادعاء الغفلة , ويعني هذا أن الله لا يقبل من أحد عذراً لشركه وكفره .
 فإن هذه الشهادة والميثاق , هي فطرة الإيمان التي أودعها الله في كينونة الإنسان منذ ولادته , وكل ما تستشعره البشرية من أعماقها في حياتها هذه , من هذه الحقيقة , ثم من منطلق هذا الميثاق والعهد يحاسب الله الإنسان يوم القيامة , و الفطرة الإيمانية التي يولد عليها الإنسان تعينه على التحلي بعقيدة التوحيد لله سبحانه , فإذا حفظ العهد وأدى حق الميثاق , وعبد الله وحده , وانقاد لتعاليمه نال بذلك الرقي والسعادة الإنسانية الكاملة ..

الأنبياء والرسل عليهم السلام هم من ذرية آدم عليه السلام , حضروا الميثاق والشهادة , وشهدوا على أنفسهم وعلى غيرهم , وأخذ الله العهد عليهم بأن يكونوا خير مبلغين ومذكرين لأخونهم من ذرية آدم , وكلف البشرية قاطبة بأن يؤمنوا بهم , ويصدقوهم ويتبعوهم فيما ينقلوه عن ربهم .
 وجعل الله الإيمان بجميع الأنبياء والرسل , أحد أركان العقيدة الإسلامية , دون تفريق بين أحد منهم ولا تمييز , فقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة آية (136)
 قولوا آمنا بالله , وما أنزل إلينا , وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط , وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (آمن المسلمون بجميع الأنبياء والرسل , بدون تمييز بين أحد منهم , إيماناً لا شك فيه , وهو جزء من الإيمان بالله الواحد ..
 ولا يتحقق الإيمان إلا إذا تواطىء الظاهر والباطن , وتوافق القلب واللسان , على التصديق الكامل بالله الواحد , وبكل ما جاء عنه , سبحانه على لسان رسله و أنبيائه , فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل , ولا يفعل إلا ما يقول , فيكون ما يرجوه أو يتمناه , أو يسأله بلسانه هو الذي يريده ...)

2 - يولد الإنسان على الفطرة :

والفطرة : أي إبتدأ الإنسان حياته منذ اللحظة الأولى على ما فطره الله من الإيمان به وحده .. قال الله تعالى : في سورة الروم 30 (فأقم وجهك للدين حنيفا , فطرة الله التي فطر الناس عليها , لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم , ولكن أكثر الناس لا يعلمون) خلق الله الإنسان من اللحظة الأولى مؤمنا بالله الواحد نقياً من كل معصية وخطيئة , طاهراً صافياً من كل شر وسوء , منذ اللحظة الأولى وقد ورد عن رسول الله الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه قال : (ما من مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ , فَأَبْوَاهُ يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ) (رقم 6110) فالإيمان بالله هو الفطرة الإنسانية الأولى والشذوذ عنها شذوذ عن حقيقة الإيمان بالله , وخلود الى الكفر والشرك , والبشرية بدرجتها الطويل سالكة بالضرورة أحد المنهجين والطريقين

1 - , طريق ونهج الإيمان (وهو فطرة الإيمان بالله وحده .. ويقود ركبه الأنبياء والرسل عليهم السلام

2 - طريق ونهج الكفر والشرك , ويقود خطامه الشيطان الرجيم

الإنسان على مفترق هذين الطريقين , بمحض إرادته واختياره , يسلك أي الطريقين شاء , وبناء على هذا الإختيار يكون مصيره وتتحقق نتيجة خلوده . هذه هي الفطرة الإيمانية الموجودة في نفسية الإنسان لا تتفك عنه , وهي تصاحبه في حياته كلها , وإن شدَّ عنها في مسار حياته نتيجة البيئة والمجتمع الذي نشأ فيه , يبقى فيه أثرها بأن الإنسان يؤمن بوجود الله , ويحس ويشعر في داخله أن كل شيء وكل ما حوله وما يراه من موجوداتٍ له خالقٌ أوجدَهُ , ومن دون شك يُولدُ الإنسانُ على الإيمان بوجودِ إلهٍ واحد قوي عظيم موجد له , يعينه في حاجته , وينصره إذا ظلم , ويحاسبه إذا أخطأ أو ظلم , يرتبط هذا الإيمان بإحساسه ونفسيته , ويجعله يشعر في داخله بإحساس يؤنبه , في بداية فعله الشر و الخطيئة والمعصية , وينتابه انقباض أشبه بالكرب والخوف من الله . كل هذا من نزعة الفطرة الإيمانية التي يولد الإنسان عليها , وهي التي تميزه عن الحيوان , الذي يولد وليس له من حياته إلا شهوة البطن والفرج

3 - التربية وأثرها على الفطرة

إنَّ البيئة والنشأة التي ينشأ فيها الإنسان هي التي تبدل وتُحَرِّفُ حقيقة تلك الفطرة التي ولد عليها , و تنحرف به الى سبل الاعتقاد المختلفة بألهة مزيفة , يزين له الشيطان عبادتها من دون الله الحق سبحانه . وبحكم أن جسد الإنسان من جنس

الأرض مادة , و مُرَاولتُهُ وانكبابُهُ على المادة , وإخلادُهُ إليها عَوَدَهُ أن يمثل كل ما يعقله ويتصوره تمثيلاً مادياً , وإن كان ذلك مما لا سبيل للحس و الخيال إليه البتة , كالحقائق المنزهة عن المادة ... والإنسان إنما ينتقل الى المعقولات عن طريق الإحساس والتخيل , فهو أنيس الحس وأليف الخيال ... وقد اقتضى هذا الاحساس النفسي عند الإنسان أن يصور لربه صورة خيالية حسب ما يألفه من الأمور المادية المحسوسة. فإذا ترك ونفسه في وسط بيئة خرجت عن دائرة الإيمان بالله الواحد ضل , وفقد الحقيقة التي خلق من أجلها , وقد تعهد الله سبحانه عباده على مر الأزمنة والعصور بالتربية والتوجيه ,

مباشرة بوحيه الكريم , وبواسطة رسله وأنبيائه عليهم السلام , وقد اعتمد في تربية النفس بادية الأمر على صلاح النية والإخلاص فيها , فقال تعالى في سورة غافر (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) وقال أيضا في سورة البينة 5 (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وروى البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى , فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله , ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها , أو امرأة ينكحها , فهجرته إلى ما هاجر إليه) إنما الأعمال بحسب القبول تتوقف على النيات والمقاصد صحة وكمالاً , ولا يعتد بها حقيقة وشرعا إلا بالنية الموجدة لها والباعثة عليها , وبها تتكيف الأعمال , ومرهونة بها , ويحاسبه الله بحسبها , والإنسان الذي لا هدف له من حياته فهو أشبه بحيوان ليس له من حياته إلا شهوة البطن والفرج , ولهذا نجد الأعمال الدنيوية تختلف نيتها حسب النية , مع أنها لا تختلف بالمجهود , ولكنها تختلف بالنتيجة حسب النية .

وأمرهم بعبادته وحده دون غيره بإخلاص , وحذرهم من اتباع الشيطان والهوى , والغفلة عن طاعة ربهم , فإذا غفل الإنسان عن ربه , فحسابه عسيرا , في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون فقال تعالى في سورة المؤمنون آية 115 (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)

يخاطب الله سبحانه عباده تارة بالترغيب لفعل خير العمل , وتارة بالترهيب والتحذير من فعل الشر , ويبين أن رجوعنا إلى الله أمر محقق لا مرية فيه كما أخبرنا الله في كلامه المجيد. في سورة الحشر آية : (18) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله , ولتنظر نفس ما قدمت لعدِّ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون , و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (19) هذه الآية تحذرنا من الجهل في معرفة الله وتحذرنا نسيان حقه علينا أو تناسيه , فإن التناسي لحق الله على النفس لا ينفع , فكل نفس تعلم حق الله عليها , و أن أجلها آت لا محالة , فلا ينفع الندم يوم لقاء الله , وقد فرط الإنسان في حقوق خالقه عليه , وقال تعالى سبحانه ,

في سورة التكوير (وعلمت نفس ما أحضرت) فكل نفس تعلم يوم قيام الساعة الكبرى نتيجة ما عملت من خير أو سوء , وهي لا تملك أن تزيد عليه أو تنقص منه , وقد انفصلت عن كل ما هو مألوف لها , و معهود في حياتها أو تصورها , وانقطعت صلتها بعالمها المادي التي كانت تبذل من أجل إعمارهِ وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خاف أدلج , ومن أدلج بلغ المنزل , ألا إن سلعة الله غالية , ألا إن سلعة الله الجنة) فمن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه , وجمع عليه شمله , وأتت الدنيا راغمة إليه , ومن كانت الدنيا همه , جعل الله فقره بين عينيه , وفرق عليه شمله , ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له , والكيس من دان نفسه , وعمل لما بعد الموت , والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله .
 ركز الله في تربية عباده على الأخلاق , والقيم الفاضلة الكريمة , وقسم منهاج تعاليمه التربوية إلى أهم ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيوية :

1 - اعتنى بالعقل والتفكير , فأمره في تنمية عقله وفكره بالعلم النافع , والثقافة الناضجة , ورفع شأن أهل العلم فقال تعالى في سورة الزمر 9 (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون , وقال أيضا سبحانه في سورة العلق 5 (علم الإنسان ما لم يعلم) وحذر من الجهل وقبح منزلته فقال تعالى في سورة البقرة 67 (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)

وأمر الله الإعراض عن الجاهلين بقوله تعالى في سورة الفرقان 63 (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)

وقال أيضا في سورة الأعراف 199 (خذ العفو وأعرض عن الجاهلين)

قبح الله الجهل وأهله , وحث على طلب العلم واحترام أهله , ولكون العلم وسيلة لسعادة الإنسان وبلوغه أعلى مراتب الإيمان بالله وتقواه , فقال تعالى في سورة آل عمران 18 (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فقد قرن الله العلماء مع الملائكة , ومع اسمه الكريم , لكونهم شهدوا بفضل علمهم بوحدانيته سبحانه وتعالى . ثم مدحهم لمواصلته تفكيرهم في آيات الله وما خلق الله من عجائب , وما في السموات والأرض , فقال تعالى في سورة البقرة 164 (إن في خلق السموات والأرض , واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس , وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها , وبث فيها من كل دابة , وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) ثم قال سبحانه أيضا آل عمران 190 (إن في خلق السموات والأرض , واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار ,, الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم , ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففتنا عذاب النار)

2- وهذب النفس بتربيتها على الفضيلة والتحلي بالأخلاق , والميل إلى الطاعة لله والتقوى , فقال تعالى في سورة (قد أفلح من زكاهها , وقد خاب من دساها) , ثم قال (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا) ثم قال (يا أيها النفس مطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية , وادخلي في عبادي وادخلي جنتي) واعتنى في تربيتها على الصبر والصدق , وحفظ الأمانة , وفي القرآن الكريم من الشواهد على مكارم الأخلاق الكافية , وقد ذكرتها في كتابي الإنسان وفطرة الإيمان) ...

6 - إبليس

1 - تحذير الله من عداوة إبليس في القرآن الكريم

إختار الله الإنسان من بين مخلوقاته , واصطفاه ليكون خليفته في الأرض , وهياه بالقوى العقلية , والنفس الإنسانية , وجعله مزيجاً بين الخير والشر , ثم حفه بالملائكة حفظة له , وتعهد به بالنصح والتوجيه , وأرسل له من جنسه معلمين ومرشدين , وكلفهم بتوجيهه ونصحه ودلالته الى الخير , وتحذيره من شر وعداوة وغواية الشيطان , وقال في سورة الأعراف 22 (إن الشيطان لكما عدو مبين) وسلط عليه الشيطان (إبليس) , وحذره من عدوته , بعد أن أبى إحترامه وتقدير منزلته , قال تعالى في سورة ص 74 (إلا إبليس أتكبر وكان من الكافرين) لم ينفذ أمر الله حقدا وكرهية لآدم وأعلن عداوته له , و سلك طريق المكر لغواية آدم وإخراجه من الجنة فقال تعالى في سورة البقرة 36 (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فكان من إبليس الخديعة والمكر والكذب بواسطة الوسوسة , وهي تحريك النفس وميلها نحو ما يُلقى من خواطر فاسدة فيها قال تعالى في سورة الأعراف 20 (فوسوس لهما الشيطان ليبيدي ما وري عنهما من سواء تهما) ثم بين الله صراحة كراهية إبليس وعداوته لبني آدم فقال تعالى في سورة فاطر 6 (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً , وفي سورة يوسف 5 (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) وفي سورة الإسراء 53 (إن الشيطان كان للإنسان عدواً) بين الله عداوة الشيطان للإنسان وحقده حتى يحذر منه , ولا يقع في مكره

وخداعه , ومن أساليب إبليس التي يسلكها لإضلال الإنسان , الإحتيال والوعود والعهود الكاذبة , فقال تعالى في سورة الإسراء 46 (وما يدهم الشيطان إلا غرورا) فإنه ينتهز الفرص المناسبة لغوايته , وخصوصا حاسة النسيان , وساعة الغفلة فقال تعالى في سورة يوسف 42 (فأنساه الشيطان ذكر ربه) والنسيان فطرة أوجدها الله في جنس الإنسان على العموم حتى الأنبياء والرسل , لتكون عوناً له على تحمل المصاعب والأهوال التي تعترض حياته , وبين الله سبحانه أن موسى عليه السلام نسي فقال تعالى في سورة الكهف 63 (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) ونسي غيره من الرسل والأنبياء فلا عصمة لأحد من البشر من حاسة النسيان , والشيطان يستغل هذه الحاسة , فيدخل عليه بالكذب الخداع في حال نسيانه , ويغريه ويمنيه بما يحب ويمتنى , ويوقعه في الفساد والمعصية , قال تعالى في سورة إبراهيم 22 (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق , ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان , إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي , فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يلاحظ من الآية الكريمة أن ليس للشيطان على الإنسان سلطان , وحقيقة إبليس فإنه أول من كذب , وأول من خان العهد , وأول من أخلف الوعد , وكل من كذب , أو خان العهد , و أخلف الوعد , فقد تشبه بإبليس , وعمل عمله , واستحق عذاب الله الذي وعده في نار الجحيم ..

وكان تحذير الله للإنسان من فتنة الشيطان حتى لا يقع في سخط الله , فقال تعالى في سورة الأعراف 27 (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال في سورة النور 21 (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) وفي سورة المائدة 91 (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) فالخمر والميسر من وسائل الشيطان لإيقاع العداوة و البغضاء في صفوف الإنسان , ومن مكر الشيطان , إشغال الإنسان عن ذكر الله و الإعراض عنه , لكون الإعراض عن ذكر الله ظلم وضلال للنفس , وظلام في القلب وطمس لمنافذ النور الإيماني , فقال تعالى في سورة الأنعام 43 (ولكن قست قلوبهم و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وفي سورة سبأ 20 (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) فإنه لا سبيل للشيطان على المؤمنين , وله سبيل قوي على الضالين والمنحرفين عن فطرة الإيمان بما كسبت أيديهم من الأعمال والكفر , فجعل الله مصيرهم ومآلهم جهنم , وقال الله في سورة الشعراء 26 (فكبكبوا فيها هم و الغاوون و جنود إبليس أجمعون) وطريق الخلاص والنجاة من وساوس الشيطان و غوايته فإن الله يرشدك اليه في سورة الأعراف 200 (وإما ينزغَنَّكَ من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والإستعاذة : هي الإستعاذة واللجوء الى الله , باتباع أمره وعبادته وحده , فمن حقق في نفسه اللجوء إلى الله , يحفظه من شر الشيطان , قال الله تعالى عن لسان إبراهيم لأبيه

(في سورة الكهف 45) ياأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (وفي سورة الزخرف 36) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

هذه آيات من القرآن الحكيم , ذكرتها لبيان عداوة الشيطان لجنس الإنسان ليحذر منه حتى لا يقع في شباكه , فيضل عن طريق الله السوي , وينال ما ناله الشيطان من غضب الله وسخطه , وأهم ما يجب الحذر منه , هو الاستعلاء والتكبر , والأناية , والكذب ونقض العهد , والتقليد الأعمى , وإقفال العقول وكبحها عن التفكير في آلاء الله ومعرفته سبحانه وتعالى ..

وقد حرص الإسلام على غرس فضائل الأخلاق ومكارمها في نفوس أتباعه المؤمنين , ومن تلك الفضائل تقوى الله في السر والعلن , والتحلي بالصدق والأمانة , والإيفاء للعهد , والعدل في الحقوق والواجبات , هذه من صفات الخير والفلاح و سعادة الدنيا ونجاة في الآخرة , ومن كمال الإيمان التواضع إلى الخلق , و هو من أحب الصفات إلى الله سبحانه ..

- 2 - إبليس معصية و عداوة

إن إبليس مخلوق من الجن , قال تعالى في سورة الكهف 50 (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) , وقال الله سبحانه وتعالى في سورة الرحمن 15 (وخلق الجن من نار) ونقل الله مقولة إبليس عن نفسه في سورة الأعراف 12 (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فالجن عالم خاص , خلقهم الله من ماهية وخاصة واحدة في تركيبهم , ركب فيهم عنصري الخير والشر , فمنهم من انصاع إلى الخير وهم كثير , كما جاء في بداية سورة الجن قول الله تعالى لمحمد رسوله صلى الله عليه وسلم (قل أوحى اليّ أنه استمع نفر من الجن , فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا , يهدي إلى الرشد فأمانا به ولن نشرك بربنا أحدا , وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا , وأنه كان يقول سفيهننا على الله شططا , وإنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا) ومنهم من غلب عليه الشر , وحب الأناية بالاستعلاء والتكبر والحسد وهم أعوان إبليس وجنده , وعلى أساس هذه الصفات تركز دعوة إبليس , وبها يقوى ويزداد انتشار وقال تعالى في سورة الكهف (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) ذكر الله ذلك في القرآن الكريم , في سورة الإسراء 61 (وأذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس , قال ءأسجد لمن خلقت طيناً) عصى الله ولم يسجد لآدم حين أمره , فهو أول من عصى الله , و أول من دعى إلى الشر والمعصية والفساد , وأول من استكبر ومكر

بالخدیعة والكذب , وجميع المعاصي والخطايا يعود مآلها إلى العاصي الأول إبليس عليه لعنة الله إلى يوم الدين . وهو أول من غضب الله عليه وطرده من رحمته , ولعنه الى يوم الدين , قال الله مخاطبا إبليس , في سورة ص / 78 (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين , قال أنا خير منه , خلقتني من نار وخلقته من طين , قال : فأخرج منها فانك رجيم , وإنَّ عليك لعنتي الى يوم الدين.. (وقد أحس إبليس وأدرك , أنه خسر كل شيء , فطلب من الله أن يبقيه حيا الى يوم البعث , فقال راجيا من الله (رب انظرني إلى يوم يبعثون , قال فانك من المنظرين , الى يوم الوقت المعلوم ..) أخذ العهد وضمن البقاء , فأظهر عداوته لآدم ولذريته , فقال مقسما بعزة الله (فبعزتک لأغوينهم أجمعين , إلا عبادك منهم المخلصين , ثم حكم الله عليه وعلى من تبعه بالخلود في جهنم والعذاب فقال الله في سورة ص 84- 85 (قال فالحق والحق أقول (84) لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. (85)

إن حب الأنانية أعمت بصيرته وبصره , ظنا منه أنه أرفع من آدم لكونه خلق من نار وخلق آدم عليه السلام من طين فصدر نفسه قاضيا حكما , فحكم على النار بالأفضلية , و جهل أن الله هو الخالق وله التفضيل والتمييز من حقه سبحانه فقط , ولا يحق لغيره ما يحق له سبحانه . وهو أعلم بما يخلق ويقدر بحسب ملكه التام.. فبقدره الله سبحانه و مشيئته منح آدم ومن بعده ذريته القيادة على المخلوقات أجمع ..

3 - أثر إبليس في تحريف الفطرة

إن الشيطان يدخل على النفس البشرية بأسلوب بطيء , ومجتهد في الوصول إلى غايته بالحاح دون ملل أو شعور بتعب ويأس , فإنه لا يتسرع في عمله , ومن دهاء إبليس ومكره في تحريف فطرة الإيمان بالله وتوحيده , يوسوس في نفس الإنسان , ويزين له أن يصور الآلهة تصويراً ينسجم مع جنسه المادي , ويألفه في خياله كباقي الملموسات ومحسوسات , ويمزج تدريجياً عقيدة الشرك في عقيدة التوحيد , بأن يوسوس في نفسية السذج من الناس , تقديس الكبراء والصالحين المتقين لله بعد موتهم , واحترامهم لصلاحهم وتقواهم لله , بدعوى التقرب إلى الله , فيشدوا عن فطرة التوحيد لله بدون قصد منهم ابتداءً , إنما قصدوا إحترام من اعتقدوا بهم الصلاح التقوى لله , لعل ذلك يقربهم إلى الله زلفاً , فيقعوا في الشرك بغواية الشيطان ومكره , ويستحوذ الشيطان على عقولهم ونفوسهم , ويكون رفيق الإنسان , يصحبه في خلواته وينفرد به في تفكيره , وقد روى البخاري رقم 3040 عن سليمان بن الصرد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) ويوسوس في نفسه تدريجياً , ليغرس الشك في إيمانه بالله , ويلقي فيه أفكاراً شتى منها ,

من خلق السماء بغير عمد , فيجيب نفسه خلقها الله , ومن خلق الأرض والجبال والبحار فيجيب نفسه خلقها الله , ويكرر السؤال تلو الآخر حتى يصل تفكيره إلى أن كل شيء مخلوق له خالق , فيدخل الشيطان بخبث ومكر وخديعة فيقول : من خلق الله إذا ؟

روى البخاري في صحيحه رقم 3034 : عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان أحدكم , فيقول : من خلق كذا , من خلق كذا , حتى يقول من خلق ربك , فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته . (أي ينتهي عن هذا التفكير في ذات الله , ويصرف فكره إلى التفكير في صفات الله وقدرته ..

.. إن هذا التدرج في السؤال من الشيطان , هدفه تشكيك ضعاف الإيمان , وفي النقطة الأخيرة من السؤال , وهي من خلق الله , فالله خالق , غيها مغالطة للحقيقة في دمج الفاعل مع المفعول به , والخالق مع المخلوق , والسؤال عن خلق الخالق , سؤال لا ينطبق مع قواعد جميع لغات العالم , وهو سؤال خاطيء , لكون الخالق لفظ يعطي استمرار فعل الخلق دون توقف , ومن كانت صفته خالق لا يمكن أن يكون مخلوقاً ., والله خالق اسم فاعل , فمن المستحيل أن يكون الفاعل الذي يفعل لفعل خَلَقَ مفعولاً به , والشيطان يعرف ذلك يقيناً , ولكنه مكرًا وخبثًا , يحاول إفساد عقيدة ذرية آدم عليه السلام ليؤدي بهم إلى غضب الله . وأما المؤمنون الذين يعتقدون جازمين بالله الواحد , لا شريك له في ملكه وألوهيته سبحانه , وعقيدتهم توحيد الله بالربوبية والعبودية , والطاعة المطلقة , والانقياد الكامل له , ولا سبيل للشيطان إليهم , ولا قدرة له على غوايتهم , وهم على يقين أن الله سبحانه وتعالى خلقهم و أوجدهم لعبادته وحده , وقال الله تعالى في سورة الذاريات 56 بقوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ , وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ...)

و من الناس من يعتقد بألوهية الله , وأنه رب السموات والأرض , وخالق كل شيء , ولا يثبتون معه خالقًا آخر , ولكنهم يؤمنون أن الله وحده لا يدير هذا الكون , وقد اختار من يعينه ويساعده في إدارته , ومنحهم بعض المهام يقومون بها , وأصحاب هذا الاعتقاد هم أهل شرك بالله , فقد أشركوا مع الله آلهة أخرى في ملكه وقدرته , وعبدوا غيره , وعدلوا به سواه في المحبة والطاعة والتعظيم , فهم يناجونهم ويسألونهم حاجاتهم , ويستعينون بهم , هذا النوع من الناس , وإن كانوا مؤمنين بالله , فهم مشركون مع الله غيره , ولا يتحقق فيهم الإيمان الخالص بالله الواحد , ولا يعتبروا من الناجين يوم القيمة من عذاب الله , وقد ذكرهم الله في القرآن الكريم وسماهم المشركين .

يستغل الشيطان أصحاب السوء في الغواية والإضلال عن طريق الإيمان كما وصف الله ذلك في القرآن الكريم فقال في سورة الفرقان من 27 - 29 (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً , يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلاً , لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني , وكان الشيطان للإنسان خذولاً (29) فقد كان الصاحب وسيلة في غواية الشيطان له , ويوم القيمة يتبرأ من صحبته , ويتمنى أنه لم يتخذه صاحباً ولا خليلاً , وقد ذكر الله لنا ذلك عظة وعبرة وتحذيراً من الوقوع في فخ الشيطان ,

7 - آدم والخطيئة والتوبة

قال تعالى في سورة البقرة 35 (وقتلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا فيها رعداً حيث شئتما , ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أسكنه الله الجنة , ثم نهاه عن الأكل من شجرة واحدة , وحذره من غواية الشيطان و عداوته فقال سبحانه في سورة طه 117 (فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك) وقال أيضاً في سورة فاطر 6 (إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً) وقال أيضاً في سورة الأعراف 22 (وأقل لكما إن الشيطان لكم عدوٌ مبين) أكد الله لآدم عداوة إبليس , وعاش آدم في الجنة أمداً طويلاً , يعبد الله ويطيعه فيما يأمره , دون عصيان ولا مخالفة , ينعم مع زوجته حواء بطاعة لله , مطمئناً برضوان الله , وقد أمضى أمداً طويلاً بحياة رغيدة هنيئة , و الشيطان يرقبه دون ملل , ويترصده الفرص ليدخل إليه , حتى إذا رأى منه سهوةً من نسيان , استغلها ووسوس له وخدعه بالكذب , وقاسمه أنه له من الناصحين . كما ذكر الله تعالى مقولة إبليس في سورة طه 120 (قال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (120) فأكلا منها , فبذت لهما سوءآتهما وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة , وعصى آدم و غوى) صدقَ آدمُ قسمَ إبليس , وما كان يتوقع , أو يخطر على فكره أن أحداً يجرؤ على الله بالكذب , فأكل من الشجرة المنهي عنها , وشعر بعد الأكل أنه وقع في الخطأ , وخالف أمر الله دون قصد منه ولا عزم , فلجأ إلى الله يرجوه العفو والمعفرة , كما أخبرنا الله في سورة طه 115 (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) بيان من الله سبحانه أن خطيئة آدم كانت عن نسيان , ولم تكن عن قصد وعمد , والنسيان فطرة أوجدها الله في جنس الإنسان على العموم , وقد نسي من بعده الرسل والأنبياء , وقد بين الله سبحانه أن موسى عليه السلام نسي فقال تعالى في سورة الكهف 63 (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) ونسي غيره من الرسل والأنبياء فلا عصمة لأحد من البشر من حاسة النسيان , وقد نسي آدم وأخطأ عن غير عمد ولا قصد , ثم أعقبها توبة واستغفاراً منه إلى الله , وقبل الله برحمته وحكمته

توبته وعفى عنه فقال في سورة طه 120 (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) ومن رحمة الله وعدله , قضى في قانونه وتشريعه الحكيم أن من تاب من الذنب عفى عنه وغدا كمن لا ذنب له , فقال سبحانه في سورة الفرقان 71 (إلاً مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا , فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا , وَمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) (72) وهذا دليل على أن آدم برىء من الذنب , وعاد كما كان طاهرًا نقيًا , وأن الله قبل توبته وغفر له خطيئته , ثم إختاره واصطفاه بقوله تعالى في سورة آل عمران 33 (إن الله اصطفى آدم) وكرمه ورفع مقامه بين مخلوقاته , فقال تعالى في سورة الإسراء 70 (ولقد كررنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر , ورزقناهم من الطيبات , وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)

وهذا دليل على أن ذرية آدم من بعده , سوف يولدون طاهرين من أية معصية وخطيئة , قال الله تعالى في سورة الأنعام 164 (ولا تكسب كل نفس إلا عليها , ولا تزر وازرة وزرًا أخرى ,) أين الخطيئة بعد هذا التصريح من الله في تشريعه الحكيم , وهذا هو عدل الله في حكمه بين عباده , بأن لا يحاسب غير المذنب , وقد فلسف النصارى موضوع الخطيئة , والعقاب عليها من الله , وقالوا : إن الخطيئة متلبسة بذرية المخطئ , ومن العدل عقاب الله ذرية المخطئ ولو تاب وتم العفو عن المخطئ الأول , كما سنفصل في بحث الإنسان والخطيئة الأولى بإذن الله

8 - الإنسان والخطيئة الأولى:

خلق الله الإنسان وأهله بصفات كريمة طيبة , وبالمقابل أطلق له القدرة على فعل أضرارها , وتنقسم هذه الصفات بالنسبة لعناصر تركيبه إلى قسمين :

1 - قسم يتعلق بالإدراكات العقلية (العقل)

2 - قسم يتعلق بالنفس

- 1 - أما ما يتعلق بالإدراكات العقلية فهي : العقل ونقيضه الجنون , ونحن لسنا في صدد البحث عن صفة الجنون , لكون المجنون غير مكلف ولا يحاسب يوم القيمة , ولكن حديثنا عن صاحب العقل الذي فيه التفكير وفيه نقيضه الخمول والكسل الفكري , وفيه الإختيار ونقيضه الإستسلام والإنقياد , وفيه الذاكرة , ونقيضها النسيان ,
- 2 - أما يتعلق بالنفس فهي : العفة , ونقيضها الشهوة , والطاعة ونقيضها المعصية , والحب ونقيضها الكراهية , الإعتدال ونقيضها الإنحراف والميل , والرضى ونقيضها الغضب , والقناعة ونقيضها الطمع الخ

هذه الصفات التي منح الله الإنسان القدرة على فعلها أو تركها , وهي ذات حدين , فيها الخير والشر ... لناخذ حسب موضوعنا هنا نقيض الطاعة , وهي الخطيئة والمعصية :

1 - أما الطاعة : هي الإمتثال والإنقياد , وتنفيذ الأمر , وهي صفة أصل الإنسان الأول آدم وزوجه , والطاعة صفة أصلية في مسار الحياة الإنسانية , خلقه الله وأسكنه الجنة يعبد الله مع الملائكة , والجنة هي موطنه الأول , أنزله الله منها إلى الأرض , ليعمرها بذريته بطاعة الله وعبادته , ووعد الله المتقين منهم بالعودة إلى الجنة , ليستقروا بها خالدين مخلدين , قال تعالى في سورة عم 31-36 (إن للمتقين مفازاً (31) حدائق وأعناباً (32) وكواعب أتراباً (33) وكأساً دهاقاً (34) لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً (35) جزاءً من ربك عطاءً حساباً (36)) هذا مقر ذرية آدم الطائعين المتقين .

أما المعصية : وهي نقيض الطاعة , وهي المخالفة للأمر وعدم الإنقياد عن قصد وعمد , وهي فطرة إبليس

وأما الإنسان فإنه قد يعصي , ولكنها ليست أصلاً في تركيبه وفطرته , بل هي عارضة في فعله , وتصدر منه بسبب غواية ووسوسة الشيطان له ..

وأما الخطيئة : فهي من الخطاء وهي فعل الشيء على غير الوجه الصحيح , وهي ضد الصواب .. وهي فعلٌ أريد به الصوابُ فوقَ غيره , ومنها الخطيئة التي ارتكبتها آدم عليه السلام , كما قدمنا

وهي طارئة وعارضة في حياة الإنسان وليست أصلاً فيه , وأنه يولد على فطرة الطاعة . وسلامة الصدر وطيب النفس , والبيئة والمجتمع زائد الثقافة تبديل فطرته التي ولد عليها كما ذكرناه آنفاً , فالأصل فيه الطاعة وليست الخطيئة , وقد ورد عن رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قوله : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ...

وأما حاسة النسيان فإنها فطرية في جنس الإنسان , لا يؤاخذ الله عليها , فقد أوجدها فيه , لتعينه على تحمل المصاعب , ونسيان الأحزان والأهوال , حتى يستمر في درب حياته دون عوائق تعترض مساره خلال تطبيق مهمته التي كلفه الله بها , وهناك فرق بين النسيان والتناسي , فالنسيان يحدث دون إرادة ولا قصد من الإنسان ..

أما التناسي فيكون نتيجة إرادة وتعمد وقصد , هذا النوع يؤاخذ عنه الإنسان , ويحاسب عليه , ويعتبر ذنباً لكونه فعل عن عمد وقصد , على العكس من النسيان , فالله لا يؤاخذ عليه ولا يحاسب الناسي , وقد نسي بعض الرسل والأنبياء , وقد بين الله سبحانه أن موسى عليه السلام نسي فقال تعالى في سورة الكهف 63)

فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) ونسي غيره من الرسل والأنبياء فلا عصمة لأحد من البشر من حاسة النسيان , ولهذا فإن من نسي أو أخطأ عن غير عمد ولا قصد , ثم أعقب ذلك توبة واستغفاراً إلى الله , قبل الله برحمته وحكمته توبته وعفى عنه فقال في سورة طه 120 (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)

من رحمة الله وعدله وقضى , في قانونه وتشريعه الحكيم , أن من تاب من الذنب , عفا عنه وغدا كمن لا ذنب له , فقال سبحانه في سورة الفرقان 71 (الإِ مِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا , فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا , وَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) (72) هذا دليل على أن آدم بريء من الذنب , وعاد كما كان ظاهراً نقياً من كل ذنب وخطيئة , وكما ورد عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) , وكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

ليس ثمة خلاف بين المسلمين في أن الإنسان , يولد على فطرة الإيمان بالله , نقي من أي ذنب أو معصية , وأن كل إنسان مرهون بعمله , ان كان خيراً فخير , وان كان شراً فشر , لا يوجد من يحصد شوك غيره , وقد قال الله تعالى الأنعام 164 (ولا تكسب كل نفس إلا عليها , ولا تزر وازرة وزرَ أخرى , ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) وفي سورة الإسراء 15 (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه , ومن ضل فإنما يضل عليها , ولا تزر وازرة وزرَ أخرى) هذه عقيدة جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام , ومن اعتقد بغير ذلك فقد شذ عن الحق , واتهم الله العادل بالظلم والعياذ بالله. فقد ورد في التوراة (إرميا 31/ ف 29) يقول الرب , في تلك الأيام لا يقولون بعد الأباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرساً , بل كل واحد يموت بذنبه , كل إنسان يأكل الحصرم يضرس أسنانه) وفي التوراة عن حزقيال 18/ ف (وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن إثم الأب , أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا , والنفس التي تخطيء تموت , الابن لا يحمل من إثم الأب , والأب لا يحمل من إثم الابن , بر البار عليه يكون , وشر الشرير عليه يكون)

وفي إنجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام الإصحاح الثامن / فقرة / 40 - صراحة في طهارة الأبناء من الذنب والخطيئة (وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله) وقال أيضاً في إنجيل مرقس الإصحاح العاشر فقرة 14 (وقدموا إليه أولاداً لكي يلمسهم , وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدمواهم , فلما رأى يسوع ذلك إغتاظ , وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله , الحق

أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله , فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم) ..

هذا نص صريح من عيسى عليه السلام في طهارة الأولاد من الخطيئة ومن كل ذنب , ولا يوجد في الإنجيل ما يؤيد دعوى النصارى بقولهم أن الخطيئة الأولى التي ارتكبتها آدم عليه السلام وراثية , انتقلت إلى ذريته من بعده .
وقد خالف رهبان النصرانية جميع الكتب السماوية بقولهم : إن خطيئة آدم الأولى , انتقلت إلى ذريته بالوراثة , ورثتها ذريته من بعده , ويولد المولود وارثاً للخطيئة وملوثاً بها , وقامت فلسفاتهم داعية إليها , وادعوا أن الله بعث ابنه الوحيد عيسى , أو أن الله نزل من عليائه سبحانه وأنحل روحاً في رحم امرأة من ذرية آدم وهي مريم ليولد إنساناً , ثم يعاني ما يعانيه الإنسان ثم يقتل صلباً , ويموت فداءً للإنسان , وتخليصاً له من خطيئة أبيه آدم (كما يعتقدون) فالإنسان ملوث بالخطيئة والذنب , ولا خلاص له إلا بتقديس عيسى ابن الاله , وهذه الفلسفة التي بنوا عليها عقيدتهم , زينها لهم الشيطان , وأبر بقسمه لله في غوايتهم بقوله (فبعزتكم لأغوينهم أجمعين , الا عبادك منهم المخلصين) وقد إنفردوا بهذه الفكرة والعقيدة الشاذة عن عقيدة الإيمان التي جاءت بجميع الكتب السماوية كما ذكرنا آنفاً ..

. فما رأيك إذا أخطأت مع شخص ما , وأدركت خطأك فطلبت منه العفو والمغفرة والسماح بصدق وبقلب مخلص , ثم غفر لك وسامحك و عفا عنك , وبعد انتقالك الى مكان ما , أدركت أن الذي أخطأت معه وسامحك , بدأ يحاسب أولادك أو أحفادك بخطيئتك معه التي سامح وعفا عنك منها , هل من العدل أن يحاسب غير المخطيء ؟ ..

وهل من العدل والأخلاق و الفضيلة أن يحاسب المخطيء على خطئه بعد أن سمح عنه وغفر له صاحب الحق .. ؟

وقال التوراة في حزقيال 18 / فقرة 21 - 24 (فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياها التي فعلها , وحفظ كل فرائضه , وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا , لا يموت , كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره الذي عمل يحيا) هذا تصريح واضح من التوراة (العهد القديم) والنصارى يعتمدونه في عقائدهم , فإنه يقرر أن لا معصية بعد التوبة , وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ..

قالت النصرانية : يجب عقاب المخطيء على خطئه ولو تاب واستغفر , وادعوا أن العدل هو عقاب المذنب ولا يجوز لأحد أن يعفو ويغفر إلا بالعقاب , حتى أن الله لا يستطيع العفو والمغفرة , ولا يجوز له العفو مطلقاً بدون العقاب , صرح بذلك جولد ساك في كتابه

فقد اعتبروا الله خارج عن العدالة إذا عفا عن المذنب وغفر له , واعتبروا الله عاجزا عن العفو والمغفرة , لا يستطيع ولا يجوز له أن يعفو عن المذنب بدون عقاب , مما يدل من هذا الاعتقاد أن الله في نظرهم قاضي أو حاكم مقيد بنظام , فلا بد له من تنفيذه , وأغفلوا أن الله مالك لكل شيء , ومن حقه أن يقرر العفو عن أخطأ في حقه , أو أن لا يعفو ..

وهو صاحب الحق فقد أخطأ المخطيء وأذنب المذنب معه هو , ومن حقه أن يحاسب من أخطأ معه , كما لو أخطأ رجل معك , فمن حقه أنت العفو عنه , والله مالك لجميع الخلاق ملكاً تاماً , لا يشاركه في ملكه أحد , وببده العفو والسماح , وهو المالك لملكه يتصرف به كما هو يريد ..

و الحكمة من قانون العقاب , إصلاح المذنبين والمخطئين , وليس هدفه الإنتقام والتشفي من المخطيء , فإذا تاب المذنب من ذنبه , وصدق في توبته , ورأى الله العفو عنه خير , هذا من حقه فهو صاحب الحق , وبصلاح المخطيء تحققت الغاية وأصيب الهدف , وحاشا لله أن ينتقم من عبده , وليس هدفه تعذيبهم ولا إهانتهم , وأنت إذا رأيت من ولدك خطأ أو ذنباً في حقه , وأردت عقابه , ولكنه تسارع إليك معترفاً بذنبه , ويعاهدك بصدق وإخلاص بأن لا يعود لمثل ذلك , فهل تعاقبه وتعذبه أم تعفو عنه ؟ بلا شك يدعوك حب ولدك إلى العفو وقبول توبته , وخصوصاً إذا تحققت من صدقه في توبته , فإنك تبادر إلى ضمه إليك , وتحنو عليه .

ونوجه هذا السؤال لرهبان النصرانية الذين أسسوا هذه الفكرة , فماذا يكون جوابهم , إن كان في قلبهم جزء من الرحمة والشفقة الإنسانية , ؟ ...

فكل والد يحب ولده , و الله أرحم منك على ولدك , والله يحب عباده أكثر من حب الأم لولدها , فمن الرحمة أن لا تكون خطيئة بعد التوبة والمغفرة , و من العدل أن لا يحاسب المروء بخطيئة غيره , فالخطيئة فردية والتوبة فردية في حقيقتها الواضح لا تعقيد فيها ولا غموض , ليست هناك خطيئة مفروضة على الانسان قبل مولده , فقد كانت خطيئة آدم شخصية , والخلاص منها بالتوبة المباشرة , وخطيئة كل ولد من ذريته خطيئة شخصية , والطريق مفتوح للتوبة , وكل انسان يحمل وزره , لا يوجد احد يحمل وزر غيره , فيولد المولود على فطرة الايمان بوحدانية الله والطهر من كل وزر وخطيئة , وفي درب حياته يحاسب عن كل ما يفعل من خير أو شر , قال الله تعالى في سورة التين (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره , ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وفي سورة الأنعام (164) : (ولا تكسب كل نفس الا ما عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)

وبالمقابل يجد المؤمن المخطيء ربه البر الرحيم تواباً رحيماً , وبين ذلك رب العزة في سورة الفرقان (اية 71) فقال : (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متاباً) وقال ايضا في سورة المائدة آية (39) : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) روى الامام البخاري عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم : حاج موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم , قال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه , أتومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني ؟ أو قدره عليّ قبل أن يخلقني (هذا بيان صريح من رسول الله : أن آدم عليه السلام مخلوق بأمر الله , وأن ما قدره عليه , لحكمة أرادها سبحانه ومشيئته سبحانه , ومن قدره سبحانه أن يقبل ممن يخطيء ثم يتوب , كما حدث لأدم عليه السلام

9 - حواء في نظر دين الله تعالى :

وأما الأم الرؤوم حواء , التي خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام , روى البخاري

برقم 3084 عن عبد الرحمن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

استوصوا بالنساء , فإن المرأة خلقت من ضلع (رفع مقامها الله في دينه الحنيف وأكرم منزلتها , وظلمها كثير من أبنائها العاقين , وادعوا أنها وسيلة الشيطان لضلال الرجل والبشرية , بدعوى أنها السبب في عصيان آدم ربه , واجتمع رهبان النصرانية عام 586 سمي هذا الاجتماع (مجمع باكوس المسيحي) من أجل مناقشة مكانة المرأة هل هي إنسان أم شيطان , واعتبروها رجس من عمل الشيطان) ونسبوا ذلك الادعاء لله , ليلبسوه ثوب التدين والتقرب الى الله . وادعوا ان الانسان يولد ملوثا بالخطايا , ورث خطيئة أبيه آدم عليه السلام . وأن الله ارسل ابنه الوحيد عيسى ., وقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الأول النص الرابع عشر (ان الكلمة صارت جسدا وحل بيننا) وتشعبت النصرانية في تفسير وتأويل (الكلمة) الى مذاهب وفرق متضاربة في الآراء والمعتقدات .. قال الكاتوليك : و هم يعتقدون أن الكلمة هي روح الله ألقاها الى مريم , واعتبروا هذه الروح عيسى وهو ابن الله . وأما البروستانت على اختلاف فرقهم ومذاهبهم : فإنهم : اعتبروا الكلمة هي الله ذاته انحل في رحم مريم ابنا لها ليولد انسانا وهو عيسى نفسه , وهذا يعني أن الإله , نزل من عليائه ليدخل في رحم مريم , ويمكث تسعة أشهر مع ما في بطن المرأة من أدران , ويتشكل من نطفة , ثم علقة ثم مضغة , ثم يصبح إنسانا , العياد بالله من أجل انقاذ وخلص البشرية من تلك الخطيئة , ولهذا صلب وعذب و مات فداء وحواء هي التي اغرت زوجها آدم لمعصية الله , فالمرأة شرُّ كلها , بهذه الدعوى الباطلة التي لا أصل لها , استغلوا جنسها الاناث , في شهواتهم الضالة

المنحرفة عن جادة الحق الشرف , والخلق الفاضل , فأذلّوها واسترقوها تحت ستار تحرير المرأة , وجعلوا جسدها سلعة يباع في سوق الشهوات , ودور الملاهي وترويج البضائع , وتغافلوا حقيقتها , كأم وسيدة كريمة , والمعلمة الاولى لأبنائها , وحملها لهم في بطنها تسعة أشهر وهنا على وهن . كما نص القرآن الكريم في سورة لقمان (وحملته أمه وهنا على وهن فقد خلقها الله بحكمته , وجعلها في دينه الاسلام , شريكة حياة الرجل وشقيقته , تقاسمه أتراحه وأفراحه , ساوى بينها وبين الرجل في الواجبات والحقوق , وهي مكلفة بما كلف الرجل شقيقها , وانقذها من ذل الرجل واستعباده , ومنحها حقها في الحياة عزيزة كريمة , قبل أربعة عشر قرناً , على لسان خاتم أنبيائه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم , وقد أوصى رسول الإسلام بها خير وصية روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استوصوا بالنساء خيراً) فالمرأة في الإسلام سيدة حصونة , لها سيادتها ومكانتها في المجتمع , وقد حررها من رق الرجل واستعباده , ثم منحها الحقوق كاملة , كما للرجل من حقوق , دون تمييز , ثم جعلها شقيقة الرجل في الواجبات , فعليها ما على الرجل من واجبات , كما ساوى بينها وبين الرجل في الالتزامات الدينية والتعبدية , وخاطبها مع الرجال فقال تعالى في القرآن الكريم في سورة الأحزاب 35 (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات , والقانتين والقانتات , والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ..) الرجل ابن المرأة والمرأة ابنة الرجل , وهي الأم الرؤم والأخت الحنون , والزوجة الكريمة سيدة البيت والمجتمع الجنسين في كفة ميزان واحدة في العدالة قانون الله شريعة الإسلام ..

10 - معجزة الله في الخلق

المعجزة هي الأمر الخارق عن عادة البشر , وهي خاصة بقدره الله وإرادته ومشيئته

سبحانه , وهي كل ما يفعله الله سبحانه من أمور خارقة يعجزُ البشرُ عن الإتيان بها ..

كخلق الله لآدم عليه السلام , وخلق حواء من ضلع آدم - (لذكر) , وخلق عيسى في جوف أمه مريم (الأنثى) بإرادته وقدرته . فإنه لاخلاف في الآراء بين الناس بموضوع خلق آدم وخلق حواء . ولكن بعض الناس (النصراني) اختلفوا في خلق عيسى عليه السلام , وتشعبت إختلافاتهم وآراؤهم

, وانقسموا في ذلك إلى مذاهب وآراء حتى فقدوا الحقيقة, وشذوا عن العقيدة الصحيحة .

ولهذا أنزل الله وحيه على خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم بعد ستة قرون من مضي عهد عيسى عليه السلام , موضحا حقيقة عيسى عليه السلام , فقال تعالى في القرآن الكريم سورة آل عمران 58 و59 (ذَلِكَ نَتَلُو عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ , إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ , الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) فكلمة كن هي الكلمة التي عناها الله في قوله في سورة البقرة آية 47 (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ) وعن خلق آدم , قال الله تعالى في سورة آل عمران 59 (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) والكلمة التي ألقاها الله إلى مريم , وردت في الإنجيل , ولكن كتبه الإنجيل فسروها بذات لاهوتية , حسب فهمهم كما ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح الأول الجملة الرابعة عشر: (والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا , ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الأب مملوءاً نعمة) ماذا يراد من الكلمة هنا والكلمة التي وردت في القرآن الكريم في سورة النساء 171 (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) كيف فسر النصارى الكلمة الى ذات الإله . و الكلمة صادرة من الله سبحانه وليست ذاته , والمعنى الحقيقي للكلمة هنا هي الأمر بالخلق بقوله كن فيكون .

و هنا المعجزة الحقيقية . أن كل شيء يريد الله أن يخلقه ويوجده يقول له كُنْ فَيَكُونُ , فإن كان خلق الله لعيسى عليه السلام غير مألوف بالقياس إلى البشر , وهو أمر خارق عن عاداتهم وقدرتهم , فقد كان خلق الله لآدم عليه السلام وزوجه وحواء كذلك أمر خارق عن عادة البشر , وهو أكثر غرابة , ويمثله في الإعجاز من الله سبحانه وتعالى ..

والذين يناظرون ويجادلون في خلق ومولد عيسى عليه السلام , ويؤلفون حوله الأوهام والأساطير , ويعتبرون ذاته لاهوتية منسوبة إلى الله , لكونه خلق من أم دون أب , تجدهم يُقِرُّون بِنشأة آدم عليه السلام , وأن الله خلقه من دون أبٍ ولا أم , ويقولون أن النفخة التي نفخها الله من روحه في آدم عليه السلام , هي نفسها نفخها في عيسى عليه السلام , ويعترفون أن الروح في كل من آدم وعيسى عليهما السلام من مصدر واحد , وأن الكلمة التي أوجد الله بها آدم وعيسى هي واحدة , ومع ذلك فإنهم ميزوا بين خلق الله لآدم وخلق الله لعيسى عليهما السلام , وقالوا :

إن طبيعة آدم طبيعة مادية محضة , خلقه الله من تراب , مركبا من الخير والشر , تغلب فيه المعصية والخطيئة , وأما طبيعة عيسى فهي طبيعة لاهوتية

مقدسة , ثم اختلفوا فيما بينهم , في ماهية طبيعة عيسى اللاهوتية , هل هي إله حل بذاته في رحم مريم أم هي ابنأله .. ؟

, ولهذا الإختلاف في العقيدة , انقسموا إلى فرق متناحرة , ترمي كل فرقة الأخرى بالكفر والضلال , وقامت حروب طاحنة بينهم , ذهب ضحيتها كثير من الناس , كل يؤيد فرقته ومعتقده , وتأسست كنائس متناحرة ..

وقد اختلفوا فيما بينهم في فهم معنى الكلمة (كلمته سبحانه - كن - ألقاها إلى مريم) وقد اعترفوا أنها في كل من آدم وعيسى من مصدر واحد (و هو الله) , وقد فسروها جسدا ذاتيا لله حل في رحم مريم , فولد إنساناً متمثلاً في شخص عيسى عليه السلام , وردَّ

الله عليهم بقوله (إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون) , فتمت النشأة ويتم الخلق كما يريد الله , بهذا الأمر كن , خلق الله آدم وحواء وعيسى عليهما السلام وجعل فيهم سراً واحداً ونفخة واحدة لا خلاف في طبيعة كينونتها ..

1 - خلق الله آدم من تراب وماء , ثم نفخ فيه من روحه وكان خلقه من دون الذكر والأنثى) . من دون أب , وبدون أم

2 - خلق الله حواء من الذكر دون الأنثى (آدم) بعد أن جعل الله فيه الحياة والحس والحركة . قال تعالى (وخلق منها زوجها) أي خلق من نفس آدم حواء وزوجه .

3 - وخلق الله عيسى عليه السلام من الأنثى دون الذكر , (مريم) وفيها الحياة كاملة , فقال تعالى في سورة مريم 34 (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون , ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه , إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .) والروح فيهما أمر بديهي من روح الله , وإن لم يذكر ذلك بالتخصيص عن حواء , فقد ذكرها على العموم بقوله تعالى في سورة السجدة 6 (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ , ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ , ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ , وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) .. فمن حيث الروح لا فرق بين خلق الله لحواء , وخلق الله لعيسى , وخلق الله لآدم كما تبين مما تقدم . ونرى أن خلق آدم من مادة لاحس فيها ولاحركة أكثر غرابة وعجبا , من خلق عيسى , وخلق حواء , فمن الأحرى إعطاء موضوع خلق آدم أكثر أهمية من خلق عيسى عليه السلام , وعلة ذلك أن النشأة الأولى والنفخة الأولى في الجماد , نتج عنها الإنسان الأول الذي كان منه حواء , وكان من نسله مريم وعيسى , وجميع الأنبياء والرسل , والناس أجمعين , وأودع الله فيهم جميعاً سره في الحياة ونفخ فيهم من روحه ,

واعتبر الله جميع خلقه عبداً له , وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسبا ولا صهرا , وأنه سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء يشابهه في الذات سبحانه , فهو الخالق وغيره مخلوق بإرادته وقدرته , فقال تعالى (ليس كمثل شيء) . فالله واحد متصف بصفات الكمال , ومنزه عن صفات النقصان سبحانه وتعالى عما يصفون ...

والحقيقة هذه ثلاثة نماذج من قدرة الله متنوعة الأسلوب والطريقة في الخلق , وهي كلها معجزة خارقة عن قدرة المخلوق , والحكمة منها هي إثبات قدرة الله على الخلق .

1 - خلق الله آدم عليه السلام من دون أب ولا أم , فقد خلقه من جماد ليس فيه حس ولا شعور , وجعله ذكراً , ومن نسله البشرية قاطبة دون خلاف .

2 - خلق حواء بطريق تختلف عن آدم , فقد خلقها من مخلوق حي فيه الحياة , وفيه

الحس والشعور , (من الذكر دون الأنثى) وجعله أنثى , وطريقة خلقه على غير الطريقة المعتادة عند البشر .

3 - خلق عيسى عليه السلام من الأنثى دون الذكر (وهي مريم) بطريقة تختلف عن آدم وحواء , وهي طريقة غريبة على عادة البشر

هذه ثلاثة نماذج خلقها الله , بأمر واحد , وكلمة واحدة , وهي كن , لا يوجد اختلاف في أمر الخلق , ولكن الاختلاف في الطريقة .

الأولى كانت من الجماد , من مخلوق لا حياة فيه ولا حس ولا شعور فيه , وهذه الطريقة بالنسبة للبشر غريبة لا يفهمها العقل البشري مطلقاً , لكونها كانت من جماد لا حياة فيه , فأجد مخلوقاً حياً .

الثانية كانت من حياة فيها الحس والشعور , ولكنها من ذكر دون أنثى , وهذه الطريقة غريبة بالنسبة للبشر , ولكنها أقل غرابة من الأولى , لكونها من حياة , وجدت حياة مثلها ,

ووجه الغرابة فيها , أنها من الذكر فقط دون الأنثى .

الثالثة كانت أيضاً من حياة فيها الحس والشعور , ولكنها من أنثى دون ذكر , وهذه الطريقة غريبة ولكنها أقل غرابة من الطريقتين , لكونها من أنثى فقط , ومن عادة الأنثى الولادة , ووجه الغرابة فيها أنها كانت من أنثى دون ذكر .

هذه معجزات ثلاثة متنوعة الطريقة , متفقة في أمر الخلق والإيجاد , كلها كانت بأمر واحد وبكلمة واحدة وهي كن قال الله الخالق سبحانه وتعالى في سورة مريم 34 (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) والروح فيهما أمر

واحد كما بينا آنفاً , وبذلك نكتفي سائلين المولى سبحانه أن يجعل فيما قدمنا
الخير , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الموافق 2004،26 April 2004،26 April